التعريف بكتاب الدكتور عباس خامه يار
"جرح وزيتون؛ أعيان وأزمان"

صدر مؤخراً كتاب "جرحٌ و زيتون؛ أعيانٌ وأزمان" للمستشار الثقافيّ الإيرانيّ في لبنان، الباحث الدكتور عباس خامه يار عن مؤسّسة منشورات الهدى الثقافية ودار أثر؛ بطبعته العربيّة ويتألّف الكتاب من ٥٠٠ صفحة من فصلين، يتناول الأوّل الشخصيّات والوجوه والثاني الأحداث والوقائع، وهو عبارة عن خواطرَ مبعثرةٍ بين المدن والدول العربيّة والإسلاميّة والعالم، جُمِعت في باقةٍ أدبيةٍ ولغةٍ تتّسم

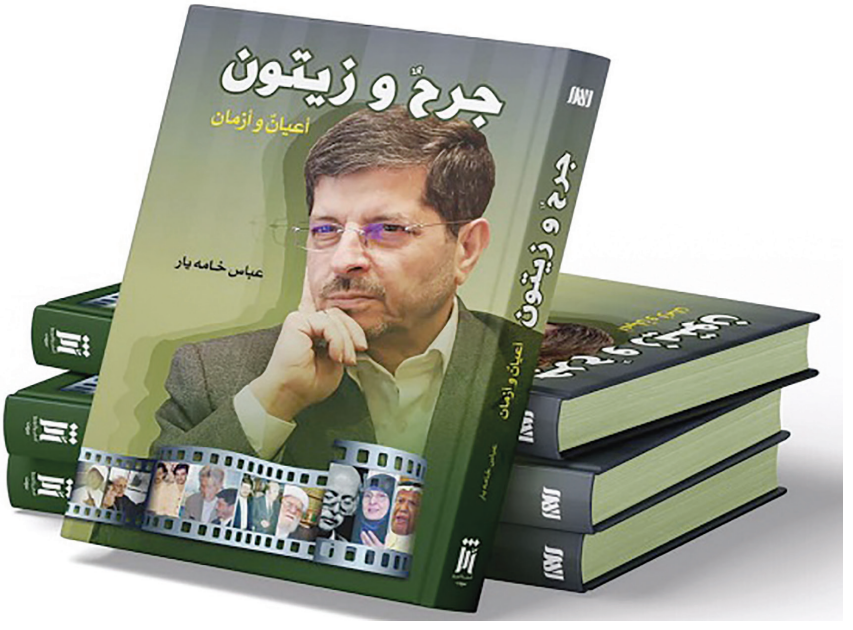

بالإحساس والصدق لما في تلك الخواطر من تجارب حقيقيّة لامست الكاتب بالدرجة الأولى، فكان لا بدّ من أن تلمسَ القارئَ كذلك، وهذا ما يتجلّى في مقدّمة الدكتور علي لاريجاني للنسخة الفارسيّة من الكتاب، حيث عدّه أفضل جليسٍ لمن يهوى المطالعة، نظرًا لما يحويه من تجارب إنسانيّة ومواقف صادقة تستحقّ القراءة، لما فيها من قيمة مضافة في اللغة والمضمون الذي يختزل السنوات والأزمان المختلفة ويقدّم أفرادًا في أطرٍ زمنيةٍ مختلفة، داخل مشهديّةٍ واحدة، هي كتاب "جرح وزيتون".

كما قدم البروفسور سليم دكّاش للطبعة العربيّة قائلًا:

لا يماري الأديب خامه يار في إخفاء هدفٍ أصيلٍ عندما كتب في الكثير من تلك الشخصيّات، حيث أبرز علاقةَ تلك الشخصيّات كلّها على وجه التقريب بالمستوى العالي للثقافة الإسلاميّة والإيرانيّة أدبًا وشعرًا وتأريخًا وتصوّفًا وعقيدةً وإيمانًا وعلمًا وسياسة وتفسيرًا وتأويلاً. وأقول إنّ ذلك هو من مهمّة المستشار الثقافيّ للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، إلاّ أنّه لا يستدرج الخيال في قول ذلك بل استنادًا إلى تلك الشخصيّات اللامعة في علاقتها بتلك الثقافة التي لم تكن أمرًا خارجيًّا بالنسبة إليها بل إنّها في معاناتها وتضحياتها وفي صبرها وجَلدها صنعت تلك الثقافة فجاءت واحدةً في معناها الأسمى، إلاّ أنّها جاءت متعدّدةً بحسب مِيزةِ كلّ خاصيّةٍ من الخصائص التي ساهمت في صنعها وبلورتها أو طَبعتها بطابعها، حتى الكاريكاتور مع الأستاذ "گل آغا" له مكانته في ما يخصّ الثقافة الإيرانيّة في تميّزها! ولا أفشي سرًّا بأنّني صادفت هذا الاهتمام بإبراز الثقافة لدى الطلّاب الإيرانيين من تلاميذنا في الجامعة اليسوعيّة، وهم يعملون بجديّةٍ وصدقٍ لاكتساب المعارف الجديدة والانفتاح على الثقافات العديدة!

وهذه الكلمات الأخيرة تدفعني إلى تحيّة المستشار في تلك الصفحات غير القليلة لا بل اللامعة في الحديث عن المسيحيّين الشرقيّين، وعَلاقتهم القويّة الوجدانيّة والوجوديّة بالثقافة الإيرانيّة الفارسيّة، وما قدّموه من نتاج أدبيّ بمختلِف مضامينه، وحقّقوه من معرفة لغويّة وأدبيّة واجتماعيّة فارسيّة في حياتهم. صحيح

أنّه يتحدّث عن لبنانيّين من شيعة وسُنّة عرفوا الثقافة الإيرانيّة والإسلاميّة وكانوا بارعين فيها، إلاّ أنّ ما تركه الأدباء فيكتور الككّ وعلاقته برباعيّات الخيّام وعشقه للّغة الفارسيّة، وبولس سلامة في قصائده الحسينيّة وملحمة الغدير، وجوزف الهاشم في شوقه إلى الإمام، وجورج جرداق الكاتب في" عليّ صوت العدالة الإنسانيّة"، وميشال كعدي، وأنطوان بارا في محبّته لمدرسة الإمام علي، وجورج شكّور في قصائده العاشقة، وسليمان كتّاني في معرفته للولائيّة، جعل كاتبنا يتهلّل في أسلوبه ونصّه حبورًا واعتزازًا بأن تكون قاماتٌ أدبيّة مسيحيّة قد تمازجت إلى هذا الحدّ بالثقافة الإيرانيّة الإسلاميّة وكتبت عنها وفيها أدبًا ونثرًا وشعرًا وكذلك درستها الدرس الدقيق على مثال فيكتور الككّ الصديق المشترك الذي لا يُنسى، وجورج جرداق صاحب الذوق المنمّق وغيرهما من الأدباء المسيحيّين...

أستاذ اللغة العربيّة وآدابها في الجامعة اللبنانية الأستاذ الدكتور علي زيتون، قال يوم توقيع الكتاب في معرض بيروت الدوليّ:

"جرح وزيتون" عنوان يلفت انتباهنا جنوبًا، في لبنان. ففلسطين هي الجرح، الوجع حتى أعماق القلب والروح، والزيتون هو الذي يلفّها برمزيّته المومئة إلى أدقّ أسرار هذا البلد الحزين، الذي يُضمر في حزنه ليس وجعًا بقدر ما يضمر إيمانًا عميقًا بنصر مبين. كيف لا والزيتون على علاقة وشيجةٍ بالثقافة القرآنيّة التي يمثل فيها الجرح انتفاضةً قويّةً في مواجهة سكين الغاصب، التي تصبح ملك بنانه وتصبح أمارةَ المقاومة التي يختطّها الفلسطينيّ في شوارعه ومدنه.

و إذا كان الجزء الثاني من العنوان: "أعيان وأزمان" فإنّ الجزء الأوّل يتسلّل الى مسارب وشرايين هذا العنوان ليعطيَ الصبغة الجهاديّة على الأعيان الذين يتحدّث عنهم الدكتور عباس خامه يار، وعلى الأزمان التي تفيء هذا الكتاب، غير العادي تحت ظلالها.

ولقد توزعت قراءة الدكتور خامه يار للأعيان، على قادة منهم: (كاسترو وأحمد بن بلا)، وعلى رجال دين حملوا لواء الثقافة والجهاد بينهم: (الشيخ التسخيري، وسماحة الإمام السيد موسى الصدر، والشيخ أحمد الزين)، وعلى مثقّفين يتوزّعون

على حقولٍ معرفيةٍ عرفها عصرنا الحالي منهم: (السبزواري)، وعلى شهداء كبار منهم: (فتحي الشقاقي)، وعلى إعلاميّين من بينهم: (محمد حسنين هيكل وجورج قرداحي)، وعلى شعراء من بينهم: (مظفّر النواب، وجوزيف الهاشم، وبولس سلامة).

وهؤلاء الأعيان لم يكونوا أعيان هذا البلد أو ذاك فحسب، توزّعوا على طول البلدان الإسلاميّة وعرضها. وكانت قراءة الدكتور خامه يار لهذه الشخصيّة أو تلك قراءة مثقّف كبير تملّكَ ثقافةَ عصره تملّكًا جدّيًا، ليس في حقل اختصاصه، العلوم السياسيّة، وحده، فالدكتور خامه يار ملمٌّ بمختلِف الحقول المعرفيّة، وبآخر ما وصلت إليه في زماننا، ولذلك كان تقديمُه هذه الشخصيةَ أو تلك تقديمًا دقيقًا يمكنُ أنْ نصفَه بالتقديم العلميّ الموضوعيّ. إنّها قراءةُ الخبيرِ المجرّب.

وممّا يجدر ذكرُه أنّ قضيّةَ فلسطين كانت حاضرةً، يُنبئنا تقديمُه الشخصيّات التي قدّمها بتسلّلها إلى كلِّ رأيٍ يُبديه، وإنْ لم يصرّحْ هو به بشكل مباشر. ولذلك فإنّه من الطبيعيّ أنْ يكونَ عَبَقُ كلامه عَبَقًا جهاديًّا. وما زال حتى ساعتنا هذه ناشطا لا يكِلُّ، يحملُ القضايا الوطنيّة والإنسانيّة ويتحمّل مشقّاتِها في حياته اليوميّة، وإذا كان له فضلٌ خاصٌّ عليَّ ودَيْنٌ في عُنُقي، فإنّ فضلَه على الحركة الثقافيّة الجهاديّة حيثما حلّ مستشارًا ثقافيًّا للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان وغير لبنان لا يقدّر بثمن، وهذا طبيعيٌّ؛ فكيف يكون ابنًا بارًا للثورة الخمينيّة التي ما زالت تزرع بذور الخير والحماية لشعوب المنطقة، من فلسطين واليمن ولبنان والتصنيع الحزبي إلى سوريا والعراق ومواجهة المخلب الأمريكيّ الداعشيّ، بالله عليكم كيف يكون ؟

لن يكون غير ذلك أبدًا، والكتاب الذي بين يدينا اليوم "جرح وزيتون، أعيان وأزمان" خير دليل على ذلك بكلّ دقّة ووضوح...

وعن الكتاب قال الأستاذ الدكتور طراد حمادة:

جرح وزيتون كتابةٌ عامرةٌ بأنواع أدبيّة عدّة يتواصل فيها أدب السيرة الذاتيّة والتاريخ الواقعيّ لا النظريّ للثقافة وأدب سير الرجال والتواصل للتعارف والحوار المستجاب، وفيها عن أدبِ القصّة والمقالة والخاطرة والعبارات القلبيّة والاستشرافات الفكريّة،

ويُعطيها ما ذكرتُ من تعدّد الأنواع الأدبيّة في هذا النوع من الكتابة، كتابةً تشبه صاحبَها والدبلوماسيّة الثقافيّة، متعدّدَ الأبعاد في النظر إلى الآخر والحوار معه والحديث عنه في ما نسميه النظرة الفلسفيّة إلى منهجيّة هذا الكتاب، تجلّيات المرايا تبادل التعارف والحوار بين الأنا والآخر المعاصر له، ولذلك يدخل الى ذكريات في التاريخ الواقعيّ لا النظريّ وفقًا لرأي الفيلسوف الألمانيّ هيجل، أي أنّه يكتب عن أشخاص معاصرين له، يعرفهم ويعرفونه، التقى بهم وأقام معهم الحوار والتعارف والتحاب؛ وهو في تجلّيات المرايا يقدّم نفسه إليهم ويقدّمهم إلى نفسه ليرسم صورتَهم في صفة قرّائه ونرى على صفحة مرآتهم صورة نفسه، وبذلك فإنّ هذه التجلّيات بالنظر لا تجعل عمق الآخر سيئًا وتخريبيًّا، وليس عدوًّا وظلمةً معتمةً؛ إنّه النّور الذي يتجلّى في مرايا التعارف الإنسانيّ؛ وعادةً ما يعرف في صدر العارف ويضجّ عنه في وجده وهذا ما يحصل في تجلّيات هذا الكتاب: الآخر المنجي الآخر. إنّه يقدّم لنا سيرة أشخاص معاصرين لسنا نعرفهم يدورون بيننا؛ وقد ذبنا بهم، وقرأنا عنهم، وربما استفدنا منهم أيضًا، وعليه تكون صورة هذا الكتاب عند المتلقّي المعاصر صورةً مطابقةً لتجلّيات المرايا، حيث يُشخّص الكاتب والمتلقّي والآخر في الرواية والقصة والخاطرة في وحدة مترابطة الأبواب والإبداع. إنّ الكتابة عن الإمام الخمينيّ والتسخيريّ والدكتور الكيك وجورج جرداق وعلي زيتون هي بالنسبة إليّ كتابة أشارك فيها عند قراءتها لأكون على صلةٍ معرفيةٍ به، وعليه تظهر عندي صاحب الخاطرة صورة الكاتب والآخر صاحب السيرة في مرآة نفسي، في أيّ حال تصبح القراءة ممتعة وذات فائدة على السواء. في هذا الكتاب نتعرّف الدكتور عباس خامه يار في تجلّيات مرآته ونظرته إلى الآخر وفي سيرته.

في النظر إلى سيرة الآخرين يكتمل الترتيب وخطتهم وتكتمل عندنا صورة عجيبة من الحوار الثقافيّ من العصر الذي نحن فيه، أقصد أنّ التاريخ للأشخاص والأفكار يضجّ بثقافة العصر، فهنا الدكتور عباس خامه يار المستشار الثقافيّ للجمهوريّة الإسلاميّة كشاهدٍ على ثقافة عصره، مؤرّخًا ومحاورًا معها وصانعًا لإنتاجها. الحياة الثقافيّة بالنسبة إليه هي الرابط والناطق بين الإنسان وأخيه الآخر المعاصر وهي

بتأريخها لرجال المرحلة، تجلّيات المرآة في كتاب جرح وزيتون فيه كلّ هذه الصفات من منهجيّة كتابة متجدّدة وممتعة أمدّها من جانب النظر الفلسفيّ صورة عن معنى التعافي والتواصل الوثيق الصلة، بدور المعرفة والثقافة في بناء الحضارة الإنسانيّة.

عباس خامه يار في كتابه جرح وزيتون، تجلّيات ومرايا ثقافته وثقافة إيران العظيمة في علاقتها بالثقافة الإنسانيّة في هذا العصر الذي نحتاج فيه إلى التعارف، التعارف والمحبّة، ونبذ التباعد والتنابذ والبغضاء وهذه من أصول الثقافة الإسلاميّة الحقّة...

وعن الكتاب قال الدكتور ميشال نوفل الباحث في شؤون الشرق الأوسط:

فى كتابه الجديد جرح وزيتون يبرز الكاتب الأستاذ خامه يار تلك الحساسية الإيرانيّة في مجال معرفة إيران وثقافتها والتركيز على التقارب معها جزئيًا وسياسيًّا... ويحاول إظهار أعمال ادباء من مصر ولبنان وسوريا والعراق ودول عربيّة أخرى... ويضع بين أيدينا لحظات للقاءات بشخصيّات سياسيّة و ثقافيّه وأكاديميّة ودينيّه، وخواطر من رحلته والمهمات التي قام بها في بلدان عربيّة و إسلاميّة عدّة وهكذا نسافر مع المؤلّف من ماليزيا في الشرق الى الجزائر في المغرب، ومن طاجيكستان في آسيا الوسطى الى موسكو وهو يكتب عمّا يكتب إمّا لأنّه مهمّ و إمّا لأنّه يروق له أن يسعى إلى ذلك وهذا النوع من الكتابة فيه مقدار معين من الغصّة والحزن وما يزيد عن ذلك من العاطفة والمحبة والعرفان.

أمّا اللحظات الاستثنائيّة فهي تفرض نفسها عندما يجد الكاتب لذّة بنقل الشعر العربيّ إلى الفارسّة أو يسجّل بحياديّة وقائع حادثة غريبة شهدها خلال زيارته الكعبة الشريفة، أو أنّه لا يتردّد في التحليل الجماليّ لظاهرة التماثيل في طاجيكستان ووظيفتها في تحديث الهويّة فضلًا عن اعتماد لوحة لإيفانا في أحد متاحف موسكو للتوسّع عن التعريف بالتاريخ القديم لروسيا، يعني ينقلنا خامه يار إلى القرن السادس عشر...

وعن الكنات قالت المترجمة مريم ميرزاده: ... اللافت أنّ الدكتور خامياز لم يكتب سيرته إلّا وهو في لبنان، بلاد الزيتون، ومن الأرض القريبة من الجرح الفلسطينيّ،

فكان اختياره لهذا العنوان "جرحٌ وزيتون". نقطتان مهمتان التفتُّ إليهما في هذا الكتاب حول القالب والشكل وثانيًا حول المضمون. لقد استخدم الكاتب، في الشكل، أسلوب الشذرات، وهو الأسلوب الذي يميل إليه معظم الفلاسفة والمفكّرين في عصرنا عصر الحداثة، تجنبًا للإطالة والإسهاب، وهو على شكل مقالات وجيزة لا تتعدّى كل منها بضع صفحات، حيث لا يقع القارئ في ما يعرف بالملل. أمّا في ما يتعلّق بالمضمون، فهو كتابٌ ثقافيٌّ بامتياز وليس سياسيًّا، لأنّه تناول حتى الشخصيات الدبلوماسيّة من بعدها الثقافيّ والفكريّ، فنجد البعد الفكريّ الثقافيّ من شخصيّة الشيخ التسخيري، والسيد فضل الله والدكتور شريعتي، ونجد البعد الأدبيّ في تناوله شخصيّة الدكتور علي زيتون وجورج جرداق وبولس سلامة وآخرين. ونرى البعد البلاغيّ والأدبيّ في تناوله تفاسير الغرب لنهج البلاغة وتحليلهم الثقافة الفارسيّة مثل جان روبرتو وجيلبير لازار وآخرين ممّن انطلقوا في قراءة نصوص الشرق انطلاقًا من ثقافتهم... "جرحٌ وزيتون" كتابٌ يحيلُ إلى كتبٍ أخرى ومراجع أوسع، لما يحتويه من أسماء شخصيات وأحداث يهمّ المثقف العربي أن يطّلع عليها...